من تراب (٢٧٧) ما دخلنا بالهولوكوست ؟ إلى الطريق!(*)

لا أدرى ماهى علاقة المسلمين الذين وجه إليهم أوباما خطابه من القاهرة ـ بالهولوكوست .. الهولوكوست جريمة غربية / ألمانية، لم يقارفها مسلمون، ولا حتى وقعت فى وطن إسلامى أو يحكمه مسلمون .. ومن حق الرئيس أوباما وغيره أن يتحدث فى شأن الهولوكوست ما شاء له الحديث، وأن يتعاطف مع ضحاياها ما شاء له التعاطف، وأن يصف منكريها أو منكرى المبالغة فى تقدير أعدادها بما يعن له من أوصاف .. ولكن ما مناسبة هذا الحديث الذى ألقاه من مصر إلى العالم الإسلامى، بينما المسلمون أبرياء من هذه الجريمة ولم يكن لهم فيها ناقة ولا جمل !

فماهى إذن حكاية الحديث عنها من القاهرة إلى العالم الإسلامى؟! لم يبق إلاّ أن المراد الخفى هو تبرير زرع إسرائيل فى فلسطين وإبادة أو تهجير شعبها، وهذا خطأ تاريخى ومنطق مغلوط هو أس البلاء فى الصراع العربى الإسرائيلى المعزو إليه، وإلى المظالم الواقعة على العرب، كل مظاهر وحركات التطرف التى هى فى الواقع صرخة اعتراض على هذه المظالم التى فات الرئيس الأمريكى أن المحرقة الغربية الألمانية لا تبررها !

شرائع السماء، وقوانين الناس، تتفق على أن الجريمة شخصية، لا يسأل عنها إلاّ مرتكبها .. فإذا كانت جريمة المحرقة واضطهاد اليهود فى أوروبا جريمة غربية / ألمانية، فإن الغرب وألمانيا هم فقط الذين يتحملون

(*) المال ٢٠٠٩/٦/١٥

أوزارها وعلاج نتائجها .. بأموالهم وعلى أراضيهم، لا بأراضى ووطن من لا دخل لهم ولا مسئولية عليهم ولا علاقة أو صلة لهم بهذه الجريمة من قريب أو بعيد !

يقولون فى الأمثال لكل مقامٍ حديث .. ولا مجال فى الحديث من القاهرة إلى المسلمين - لا مجال لاستدعاء قصة الهولوكوست .. لقد عاش اليهود قرونا بين المسلمين، فلم يلقوا إلاّ كل سماحة تلقاها كل من عاشوا من الذميين فى المجتمعات الإسلامية .. منهم من تولى الوزارة والقيادات .. ومنهم من تولى قيادة الجيش إبان الحكم الإسلامى فى الأندلس، ووضعت جميع المدارس فى عهد هارون الرشيد تحت رقابة حنا مسنية ..ومنهم من نبغوا فى العلوم فى الحضارة الإسلامية لتى تلفاها مرصعة بنجوم من اليهود والنصارى سووا مع المسلمين فى كل شىء .. نبغ منهم علماء وأطباء وكيماويون، وفتح لهم الإسلام الباب بلا جواز مرور دينى أو عرقى .. رأى المسلمون رسول القرآن عليه السلام يندب الذمى الحارث بن كلده لعلاج سعد بن أبى وقاص فى حجة الوداع .. وكثر اشتغال اليهود والنصارى بالطب فى شتى الأقطار الإسلامية فى الوقت الذى كانت فيه الكنيسة الغربية تحرم صناعة الطب ! .. منهم العشرات مذكورون فى موسوعة الحكماء للقفطى .. ومن أعلامهم فى الحضارة الإسلامية اليهودى موسى بن ميمون، ومعاصره ببغداد الطبيب اليهودى إسحق بن عمران، وهبة الله بن جميع الطبيب المصرى اليهودى الذى كان طبيبا للناصر صلاح الدين .. وفى عصر الدولة الفاطمية استوزر العزيز بالله الفاطمى (٩٧٥ - ٩٩٦م) وأناب عنه فى الشام اليهودى منشا بن إبراهيم .. صحيح أن هذا الوزير حاد وظلم وأثار السخط، ومع ذلك تبقى دلالة استوزاره آية على سماحة الإسلام .. وصار " حسداى بن شبروط " وزير لعبد الرحمن الناصر .. ومن هؤلاء البازغين إسحق بن حنين المترجم (٩١٠/٩١١م) .. وإسحق بن سليمان الإسرائيلى الفيلسوف اليهودى المولود بمصر عام ٨٥٠م .. وغير بعيد عن أذهان المعاصرين ولاية

اليهودى موسى قطاوى باشا وزارة المالية فى مصر فى القرن الماضى !

صحيح أن الرئيس أوباما ذكر بعد استحضاره حكاية الهولوكوست الغربية الألمانية - ذكر المظالم واللاإنسانية التى تعرض ويتعرض لها الفلسطينيون على مدار (٦٠) عاما، ولكن يبقى فارق جوهرى لم يستوقف الرئيس الأمريكى .. الفاعل فى الهولوكوست هم الغرب والألمان، وليس المسلمين، وأن الجناة هنا هم اليهود الإسرائيليون الذين شملت جناياتهم أرض وأرواح المسلمين .. نحن لم نكن الفاعلين هناك، وهم الفاعلون المقارفون لما أصابنا ويصيبنا هنا .. فهل لم ير الرئيس الأمريكى هذا التقابل أو هذه المفارقة ؟!.. لو رآها لما أدخل حكاية المحرقة فى حديثه إلى العالم الإسلامى من قلب القاهرة المعزية !

بغير فهم هذه المفارقة، سيبقى الغرب وعمدته أمريكا بعيدا بعيدا عن فهم طبيعة المأساة أو إدراك الحل العادل الذى يعيد السلام الحقيقى إلى دنيا تغولت فيها القوة وشطحت أدواتها دون أن تدرك أن عناقيد الغضب تتوالد وتكبر فى الأرحام، وأن تراكم المظالم هو الذى يولّد الانفجار !